إلي غير ذلك مما جاءت به الروايات المختلفه.

وختاما يضيق المقام عن أن يتسع لذكر كل ما يمكن من فوائد الإسراء والمعرج للرسول خاصة وللأمة الإسلامية عامه فحسبنا هذا والله ولي التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

جنات وأعظة

في سور ١ ـ الكهف ، ٢ـ سبأ ، ٣ ـ القلم ، ٤ ـ صحيح مسلم .

نعم إنه المال عصب الحياة الدنيا وزينتها. ووسيلتنا إلي ضروریاتها وكمالاتها. وهو صنو البنين. وكلاهما يحرص الإنسان عليه. ويري فيه سعادة نفسه. وطمأنينة قلبه. قال تعالي ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ (الكهف ٤٦) .

وقد قرنه الله بالبنين في ثمان وثلاثين آيه من آيات الكتاب الكريم. مقدما المال علي البنين وفي ذلك إشارة إلي أن تعلق النفس بالمال أشد من تعلقها بالبنين.

المال وهذا شأنه كان مصدر الصراع بين الأفراد والجماعات. فبسببه اقتتل الناس وتفرق الأحبة. وما كانوا ليقتتلوا ويتفرقوا. فيقلبوا النعمة نقمة. ويجعلوا زينة الحياة سببا لشقائهم لو أنهم أنزلوه منزلته. وهي كونه وسيلتنا لسعادة الدارين. فلم يتخذوه صنما يعبد من دون الله. ويتقربون إليه بشتي الوسائل. غير مفرقين بين مشروع ومنكر. ولكنهم قد اتخذوه صنما. وتقربوا إليه بكل شيء. وعلي مذبحه أراق الأخ دم أخية. وقتل الأب بنيه. والابن أباه وانتهكت الأعراض وديست الكرامات .

ويا عجبا أن يجعل وسيلة السعادة سببا للشقاء. ولكنه ضلال الإنسانيه بسبب بعدها عن هدي السماء. ورسالات الله. فعاقبها الله. فعاقبها الله علي تنكب الطريق السوي وقد أرشدنا الله في كتابه وسنة رسوله في وضوح واضح إلي الطريق الصحيح للتعامل مع المال اكتسابا وإنفاقا وادخارا. مصححا في ذلك نظرة الناس إلي الأموال. فلم يرض لهم أن يكونوا عبيد الدراهم والدينار. كما لم يحب لهم أن يتنكروا لهما. قال تعالي: ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة. ولا تنس نصيبك من الدنيا. وأحسن كما أحسن الله إليك. ولا تبغ الفساد في الأرض. إن الله لا يحب المفسدين ﴾(سورة القصص: ٧٧). وقال ﷺ « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة. إن أعطي رضي

الله. وإن لم يُعْطَ سخِط. تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش (١).

كما قال ﷺ: « اليد العليا خير من اليد السفلي. وإبدأ بمن تعول. وخير الصدقة ما كان عن ظهر غني. ومن يستعف يعفه الله. ومن يستعين يغنيه الله» (٢).

وفي ذلك حث واضح علي اكتساب المال. ليصلح الإنسان به من شأنه وليحسن به إلي غيره وفي الحديث الذي قبله تنفير من الإسراف في حب المال إسرافا يجعل الإنسان ينتقل من كونه سيدا مالكا للمال. إلي كونه عبدا له.

هذا وقد لفت نظري أربع قصص واقعيه. ثلاث في القرآن الكريم. وواحدة في السنه النبوية حول المال. وتصحيح النظر إليه. والتعامل معه. وذلك عن طريق القصة.

وأثرها في النفس العظيم. واتخذ موضوعا لها في جميع القصص لون من المال بعينه يغلب علي النفس حبه والميل إليه. وذلك هو البساتين الغناء والحدائق الفيحاء. والجنان النضره.

القصة الأولي: يدور الحوار فيها بين رجلين. أوتي أحدهما جنتين من أعناب. مخفوفتين بنخل وجعل بينهما زرع. وفجرَ خلالهما نهر ﴿ **وكان له ثمر. فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا. وأعز نفرا. ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا. وما أظن الساعة قائمة. ولئن رددت إلي ربي لأجدن خيراً منها منقلبا** ﴾ (الكهف: ٣٤، ٣٥، ٣٦).

إذن فقد كفر الرجل. بعد أن بطر وركن إلي ماله مفتخرا به. وبغى وطغى وتجبر. واعتز بماله وجاهه. وجعل المال. وهو نعمة من الله عليه سببا لطغيانه وكفرانه.

وصدق فيه قوله الله تعالي﴿ **كلا إن الإنسان ليطغي أن رآه استغني**﴾ (العلق ٦، ٧) وهنا ينبري له صاحبه مسفها رأيه أن جعل المال سبب الكفران والفخر. مذكرا له بنعمة الله عليه في خلقه في أطوار شتي. طورا بعد طور. حاثا له علي النظرة الصحيحة لنعمة

---

(١) رواه البخارى. «والخميصة» ثوب معلم من خز أو صوف. «وانتكس» أى انقلب على رأسه خيبة وخسارا. « وشيك» أى دخلت فى جسمه شوكة. « والانتقاش» نزعها بالمنقاش. وهذا مثل معناه. إذا أصيب فلا انجبر.

(٢)ـ رواه البخارى. واللفظ له. ومسلم. واليد العليا هى المنفعه. والسفلي. هى السائلة.

المال. بنسبتها لله وشكره عليها. والتبري من حوله وقوته في كسبه فكم من باذل لا ينال. ولو كان جهد الإنسان هو كل شيء لما تخلفت ثمرة عن عمل .

قال تعالي **﴿قال له صاحبه وهو يحاوره. أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا. لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا. ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله. إن ترن أنا أقل منك ما لا وولدا فعسي ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا﴾** (١) (الكهف ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١).

انتهي الحوار. ونحن الآن بإزاء رجل أوتي مالا جنتين عظيمتين. فكفر بعد أن بطر وافتخر وبغي وتكبر. فماذا كان من شأنه بعد ذلك. هنا موضع العظة والعبرة. أهلك الله حديقته. فلم يعد أكثر مالا. وثاب الرجل إلي رشده بعد أن جرد من المال «يا ليتني لم أشرك بربي أحدا». وبطل الجاه. فلم يجد فئة تنصره من دون الله وما كان منتصرا ويصور الله ذلك أتم تصوير في قوله سبحانه وتعالي **﴿وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه علي ما أنفق فيها وهي خاوية علي عروشها. ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا. هنالك الولاية لله الحق. هو خير ثوابا وخير عقبا﴾** (الكهف ٤٢، ٤٣، ٤٤) .

ياالله للناس. ألا يعرف الانسان ربه إلا أن تنزل به جائحة تعيده إلي رشده وتصلح من فكره ألا ما أجهل من يجعل نفسه عبد العصا. وبؤسا لإنسان يطغيه المال مهما كثر. ويقف حائلا بينه وبين النظر الصحيح آمنت بالله ما شاء الله كان. لا قوة علي أمر إلا بالله تلك هي الجنة الأولي. وفيها دعوة لتصحيح النظر للمال بنسبته لله منعما به. وعدم اتخاذه وسيلة للمباهاة والفخر. والتبري من الحلول والقوة في جمع المال وتثميره وحفظه. بل الأمر بيد الله وحده .

وأما القصة الثانية: فعن سبأ **﴿جنتان عن يمين وشمال. كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم. وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾** (سورة سبأ ١٥، ١٦، ١٧) (٢) .

---

(١) حسبانا جمع حسبانه. أى صواعق .« وصعيدا زلقا» أى ارضا ملساء لا يثبت عليها قدم

(٢) والعرم جمع عرمه. وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته. أى سيل واديهم الممسوك بما ذكر. والخمط المر البشع وأثل طرفاء. لا ثمر لها ولا ظل . وسدر نبق

صدق الله العظيم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

وهل طلب منهم كفاء ما أنعم به عليهم إلا أن يعرفوا له حقه ﴿ويؤدوا له شكره. والشكر لله علي نعمه سياج لها يحفظها من الهلاك ويزيد فيها. لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ (إبراهيم ٧) ولكن القوم غلبت عليهم شقوتهم فأعرضوا. فحقت عليهم كلمة الله ﴿ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ (إبراهيم ٧).

وأي عذاب نزل بهم. إنه السد الذي بنوه ليحتجزوا المياه خلفه لوقت حاجتهم. وليحميهم من غائلة الغرق قد تهدم بنيانه وتصدعت أركانه. فأغرق مساكنهم وأتلف بساتينهم. ثم أبدلهم الله من جنتهم المغرقتين ما لها يسمن ولا يغني من جوع وأسماه جنتين. تهكما بهم وأي خير في ثمر مر بشع وطرفاء لا ظل ولاثمر وسدر قليل النفع. وذلك جزاء كفرانهم وعدم شكرهم.

فإذا كان موطن العبرة في القصة الأولي النهي عن اتخاذ المال وسيلة للمباهاة والفخر. والحث علي عدم الركون إليه. والتبري من الحول والقوة في كسبه وحفظه. فإن موطن العبرة هنا. هو الحث علي شكر الله علي نعمة المال. بالاعتراف له سبحانه بأنه هو المنعم المتفضل. وأداء حق الله فيها لأن ذلك هو تمام الشكر.

وأما القصة الثانية: فخلاصتها. أنه كان فيمن مضي رجل صالح يملك بستانا. وكان ينادي الفقراء والمساكين وقت جنيه. فلما مات الصالح قال بنوه. إن فعلنا مثل ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر. فإن المال قليل والعيال كثير. وأقسموا ليقطعنها في وقت الصباح الباكر حتي لا يتبعهم المساكون. ولم يقولوا إن شاء الله. فجمعوا بذلك بين العزم علي حرمان المساكين والاعتماد علي حولهم وقوتهم فحسب. وهنا نزل علي جنتهم ليلا بلاء مخصوص أحاط بها من جميع جوانبها فأصبحت كأنها قطعت ثمارها بحيث لم يبق فيها شيء. أو صارت كاليل في اسودادها واحتراقها. ولما أصبح الصباح ذهبوا إلي حديقتهم مستخفين عن أعين المساكين. مصرين علي جني ثمر الحديقه وحرمان الفقراء منها فلما رأوها هالهم ما رأوا وظنوا لأول وهلة أنهم ضلوا طريقهم وأن الحديقة التي أمامهم ليست حديقتهم. ثم لما تأملوا في أماراتها وجزموا بأنها حديقتهم أيقنوا بأنهم حرموا منها. وهنا قال أعدلهم رأيا: ألم أقل لكم حين تشاوركم علي حرمان الفقراء هلا تذكرون الله بالخير. وهنا فقط أدركوا خطأهم وعظيم جرمهم فتابوا وأنابوا.

قال تعالي ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون.فأصبحت كالصريم.فتنادوا مصبحين.أن اغدوا علي حرثكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون.أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين.وغدوا علي حرد قادرين.فلما رأوها قالوا إنا لضالون.بل نحن محرومون.قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون.قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين.فأقبل بعضهم علي بعض يتلاومون .قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين.عسي ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلي ربنا راغبون.كذلك العذاب.ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ (القلم ١٧، ٣٣) .

يالله للمسلمين. فكم من بلاء نزل. وآفة حلت بزروعهم في ضراوة العام بعد العام. وكم من جهد بذل لمكافحتها إن أفلح حينا. خاب أحيانا. وهم في كلتا الحالتين قد خسروا خسرانا مبينا. أليسوا في حال نجاح جهدهم في مكافحة الآفة قد خسروا جهدهم الموجه لمكافحتها ومالهم المبذول ثمنا لمبيداتها. والعلاج هين لو كانوا يعلمون. إنه يكمن في مواطن العظة في حدائقنا هذه. . .بذل. ولا فخر. وشكر لله علي ما أنعم به. شكر يدفع إلي صالح الأعمال. وكريم الفعال .

أما القصة الرابعة: فيذكرها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه. قصة واقعية عمن مضي قبلنا. قصة تكمن فيها أبلغ عظة وعبرة لقوم يتعظون ويعتبرون .

قصة يؤمر فيها ماء السماء بالتوجه إلى حديقة معينة لريها. ،يسمع ذلك الأمر إنسان بأذن رأسه حتي تكون الموعظة أتم والعبرة أكمل. ويتابع ذلك الرجل هذا الماء المأمور. فإذا به يتجه لحديقة يعمل فيها صاحبها. فسأله الرجل عما يعمل في حديقته فإذا به يتصدق بالثلث. ويطعم هو وعياله الثلث. ويرد فيها الثلث. ومما يلفت النظر في ترتيب ما يعمله أنه ابتداء بالصدقه قبل أن يذكر طعمته وطعمه عياله. وبذلك يكون الرجل قد قدم حق الله علي حقه. وأعظم الصدقة ما بادر به صاحبه. قال تعالي: ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ (الأنعام ١٤١).

وها هو حديثه ﷺ المتضمن لهذه القصه « عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « بينا رجلٌ في فلاة من الأرض. فسمع صوتا في سحابه. اسق حديقة فلان فتنحي ذلك السحاب. فأفرغ ماءه في حرَّة. فإذا شرجةٌ من تلك الشِّراج قد

استوعبت ذلك الماء كله. فتتبع الماء. فإذا رجل قائم في حديقة يحوِّل الماء بمسْحَاته، فقال له يا عبدالله ما أسمُك ؟ قال: فلانٌ للاسم الذي سمع في السحابه. فقال له يا عبدالله : لِمَ سألتني عن اسمى. قال: سمعت في السحاب الذي هذا ماءه صوتا يقول: اسق حديقة فلان لاسمك. فما تصنع فيها ؟ قال: أمّا إذ قلت هذا. فإني أنظر إلي ما يخرج منها. فأتصدق بثلثه. وآكل أنا وعيالي ثلثه وأرد فيه ثلثه »[1] .

وموضع العظة هنا يكمن في تصدق الرجل بالثلث. وابتدائه به. فسخر له ماء السماء تسخرا أسمعه الله لذلك الرجل في الفلاة. أى قوم. والباب علي مصراعيه لمن أراد الولوج. فأيما إنسان بذل من ماله للفقير والمسكين وغير ذلك من وجوه البر. طيبة بذلك نفسه. فسحب الخير في سماء الله تنتظر الأمر بالتوجه. سمعه من سمعه. ولا ضير إن لم يسمعه بإذن رأسه أحدُ. قال تعالي: ﴿ **ولو أن أهل القري آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ﴾ (الأعراف ٩٦) .

وبالتأمل في القصص الأربعة نجد أن ثلاثا منها أهلكت. وواحدة منها فقط هي التي نجت من الهلاك. ولم تنج فحسب. بل سخر لها السحاب ذلك التسخير المثير.

والثلاث المهلكه. وإن اتفقت في الإهلاك. فقد اختلفت أسبابه في كل منها.

فالأولي. أهلكت. بسبب الفخر بها. فخرا انتهي بصاحبها إالي البغي والكفر. والاعتماد علي حوله وقوته. والثانيه . أهلكت بسبب عدم شكر الله عليها. بالاعتراف له سبحانه بإنه هو المنعم المتفضل. والثالثه. أهلكت. بسبب العزم علي فكرة فاسدة. نعم مجرد العزم عليها. ألا وهي حرمان المساكين مما إعتادوا أخذه. وأما الرابعه: فقد سخر لها السحاب وشملتها عنايه الله ورعايته.

ذلك أن صاحبها كان نموذجا إسلاميا كاملا في نظرته للمال. فهو قد أخرج الثلث صدقة مبتدئا به. وإذا دققنا النظر نجده قد أخرج النصف. لأنه ردّ الثلث في الأرض بذرا وحرثا وخدمه. فكأنه شاطر الفقير ماله.

وذلك أكمل الشكر. أن جادت نفسه. بنصف الثمر. فدل فعله على عقيدة

---

(١) رواه مسلم والحره: الأرض التي بها حجارة سوداء.والشرجه:مسيل الماء إلي الأرض السهله. والمسحاة:هي المجرفه من الحديد

سليمة. وقلب ملئ بالإيمان مفعم بالشكر لله سبحانه.

والرجل مع ذلك بعيد كل البعد عن مواطن الفخر والمباهاه بماله. وبعيد أيضا عن المن والأذي. فهو لم يعمل علي إذاعه صنيعه بين الناس. يلتمس بينهم جاها كاذبا ومجدا زائفا. لا بل كان ضنينا بسره حريصا علي عدم إذاعته.

أنظر إليه لم يجب الرجل المستفسر عن سؤاله إلا بعد أن أخبره بالآية التي شاهدها ولكن السماء كانت حريصة علي إذاعه سر الرجل ونشره بين الناس. درسا عمليا بليغا. فأسمعت صاحب الفلاة ما سمع وأرته ما رأي.

مما تقدم يتبين لنا أنه لا يكفي المسلم أن يجمع المال من حلال. وأن يؤدي حق الله فيه للفقير والمسكين. بل يلزمه مع ذلك ما هو أهم منه. ألا وهو تصحيح النظر إلي المال. بنسبته إلي الله منعما به. والتبري من حوله وقوته في كسبه وحفظه. ودوام الشكر لله عليه. وأداء حق الفقير والمسكين. شاعرا بأنه بإنفاقه إنما يسدي لنفسه معروفا أي معروف. يتحبب لربه. ويحفظ بذلك ماله. من الجوائح تنزل به. لا أقول ثورة الفقير المسكين عليه. ثورة تزلزل كيانه وتذهب بثروته. بل أهم منها وأشد وأنكي غضب الله عليه. غضبا يتمثل في ثورة الطبيعه. صواعق ورعود . وغرق وحرق ونضوب للماء كما ورد في قصصنا السابقه. وعلي ذلك فالمسلم حين يتعامل مع المال إنما يمارس حزبا من العباده. يجد فيه سعادة نفسه وطمأنينة قلبه. فهو حين يعمل لكسبه يتوكل علي الله توكلا يجعله يبذل الأسباب. ويفرغ الجهد لاتقان العمل.

غير أنه يؤمن بأن من وراء عمله توفيق الله أولا وقبل كل شئ. فهو لا يقلق علي عمله قلقا يشقيه ويضنيه. ويرضي بعد ذلك بالثمره كائنه ما كانت بعد أن استفرغ جهده في التحسين والتجويد. ثم بعد أن يحصل علي ثمرة عمله لا يطغيه ما جمع. بل ينسب ذلك الفضل الله. فذلك خير ضمان له من الجوائح تنزل به. ويتبرأ من أن ينسب لنفسه الفضل فيما حصل عليه. مؤمنا بأن الفضل كل الفضل لله في توفيقه له في سعيه. وأنه سبحانه هو المتفضل عليه بالحول والقوه. فيكثر من شكره بلسانه وقلبه وعمله. فيجعل في ماله حقا للسائل والمحروم. وغير ذلك من ضروب البر. ثم هو لا يتعامل مع الطبيعه. وإنما يتعامل مع رب الطبيعه. خالق السبب والمسبب.